(قصيدتي هناكَ عندَ جبلِ المريكبات)

أشعرُ بالارتياحِ في النظرِ إليهِ، في الجلوسِ عندَهُ

في انبلاجِ لغةِ الأحاسيسِ بيني وبينَهُ

ذلكَ هو جبلُ المريكباتِ الذي أُحبّهُ

وأُحبّ المُتَنَزّهَ الذي صار رفيقَ دربِهِ، رفيقَ بقائِه

أسمعُ تَحاورَهما الصامتَ، أسمعُهُ بوضوح

خصوصاً في يومِ شتاءٍ مشرقٍ صافٍ أو غائمٍ قليلاً

أتذوّقُ حينَها معنى الحياة

أتذوّقُ رائحتَها، نكهتَها الخاصّةَ التي تبلغُ أعماقَ الروح

ولذلكَ أَفتحُ مصراعَي قصيدتي لهما

لهُ وللمُتَنَزّهِ الذي صار لهُ معنىً مكتسباً منه

مِنْ جبلِ المريكباتِ الذي أُحبّهُ

أجعلُ نصّي الشّعْريّ يرتفعُ بهِ، يستأنسُ يشعرُ بالشموخ

مثلما يستأنسُ حينَ يشدو بجبال

حينَ يتغنّى بجبلِ الأربعِ، بجبلِ أبي الدلاسيسِ، بجبلِ أبي حصيص

بجبلِ القرينِ، بجبلِ برقاء

إنّها الجبالُ التي تَتَعَطّرُ بها نسائمُ الرّيح

تَصلُني حتى إنْ لَمْ أستطعِ الوصولَ إليها

تَصلُني حتى في أحلامي

أحلامِ يقظتي وأحلامِ منامي

فبها أراني وبما أراني أراها

أَبلغُ نشوةَ القصيدةِ التي تُبدعُ فرادةَ شِعْرِيّتي

تَجعلُ اسمي خالداً بها، وتَجعلُ قصيدتي خالدةً باسمي

مثلما خُلّدَ بموجوداتِ قصيدتِهِ، بمعالمِها خُلّدَ غَيْلان

لستُ صفرَ اليدينِ حتى تتسلّقَ أحرفُ قصيدتي جبلَ الأولمبوس

حتى تُشكّلَ عمقَها النصّيّ في قمّةِ جبلِ بارناسوس

لستُ ممّنْ يُغَطّي ضحالةَ نصّهِ بها

بإحالاتٍ إليها

إلى ركامِ أساطير تبدو كالثآليلِ القبيحةِ في جسدِ النص

تَجعلُ المُتلقّـِين ينفرون مِنْ نصٍّ وظّـَفَها

ومنها ينفرون نفورَهم مِنْ مجذوم

أرأيتَ بائعَ قهوةٍ خولانيـّـَةٍ لا يَنفرُ مِنْ نصٍّ وظّـَفَها ومنها

أرأيتَ بائعَ فَقْعٍ زُبَيدِيٍّ لا ينفرُ مِنْ قصيدةِ خنسائِنا

متى ما صَيـّـَرَتْ شعلةَ برومثيوسَ مُشبّـَهاً بهِ في شأنِ أخيها صخر

أرأيتَ بائعَ بليلةٍ في بابِ مكّـَةَ لا ينفرُ مِمّـَا أنفرُ منه

فأنا لستُ إلا أنا، وأنا لا أبحثُ عن الحكمةِ في جبلِ إيدا

إنّـَ حكمةَ الشّـِعْرِ في نفسي حينَ أعرفُ نفسي

حينَ أتذكّـَرُ أنّـَ الشّـِعْرَ هُنا وُلِدَ ومِنْ هُنا بَدَأ

حينَ أُنادي جبلَ الأربعِ مثلما نُودِيَ شَجَرُ الخابور

حينَ أُقَبّـِلُ صخورَ المريكباتِ مثلما قُبّـِلتَ جدرانُ دارِ ليلى

وحينَ أستغني بمعالمي كُلّـِها استغناءَ تَلَذّـُذ

كما استغنى قيسٌ بإيحاءِ جَبَلِ توبادِهِ ليبَلُغَ لُبّـَ الشّـِعْر

وكما استغنتْ قصيدتُهُ بهِ، بليلاه

فالنصّ ُ الفقيرُ هو ما لا يَتَغَنّ َى بما عنده ُ

والنصّ ُ الفقيرُ دائماً ً يَتَغَنّ َى بإيكاريوسَ ولا يَتَغَنّ َى بابنِ فرناس

يَصدّ ُ عن توظيفِ كُلّ ِ الموجوداتِ التي تَذوبُ لها قلوبُ الناس

يَذوبُ لذكرِها جاني عَسَلِ الزعترِ في جَبَلِ رضوى

يَهتزّ ُ لها وجدانُ فلاحٍ فَرَغَ مِنْ جنيِ الرطبِ ليستريحَ في جلسةِ شاي

ولها يَذوبُ قلبُ ناقدٍ مُحترِفٍ قبلَ تَلَقّ ِي خطراتِ عقلِهِ، لُجَجِ خِبْرَتِه

هكذا أنا أصنعُ قصيدتي وهي أيضاً ً تَصنعُني

سَلُوا عنها وعنّ ِي جَبَلَ أبي الدلاسيس

سَلُوا جَبَلَ القرينِ، سَلُوا جَبَلَ أبي حصيص

وسَلُوا بائعَ الذّ ُرةِ في مُتَنَزّ َهِ المريكبات

سَلُوا بائعَ رمّ َانِ الطائفِ الحلوِ فيهما

في سَفْحِ جَبَلِ شَفاهُ، وفي قمّ َةِ جَبَلِ هَدَاه

سَلُوا بائعَ المانجو اللذيذِ في بيش

وسَلُوا بائعَ الفلافلِ في سوقِ الخميسِ هناك

هناكَ هُنا والزمانُ سَمِيرُ المكان

فما بينَ توبادِنا والقرين

سوى لحظةٍ تِلْوَ لحظة

سوى أيِّ وقتٍ يَمرُّ كطرفةِ عين

سواي َ متى كنتُ قيساً وكنتُ العيونيَّ في تالديِ والجديد

أنا ابنُ المُقَرَّبِ مِنْ كُلِّ ناسيَ في لُغتي

وفي نبضِ حرفيَ في كاملي والمديد

وفي حُلْوِ تفعيلتي والنثيرة

وحتى ابنَ لولا ثلاثٌ سَلُوهُ

سَلُوا كوزَهُ والنديمَ سَلُوهُ

وحتى تكيَّةَ ديوانِهِ قَلَّبوها سَلُوها

وأيضاً سَلُوا سقفَهُ والحصيرة

سَلُوا أنجمَ الليلِ في عمقِ دَهْنائِنا والقمر

سَلُوا بسمةَ الصبحِ فيها ومَدَّ البصَر

سَلُوا كُلَّ ريحٍ تُداعبُ كُلَّ جبالي

سَلُوا مُمْكِني حينَ يعدو طموحاً

وحين يَشقّ بطونَ المحالِ .